وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

التعليل الصوتي للتعبير القُرآني عند المحدثين

رسالة مقدمة إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها

من الطالبة

إيهاب سامي حسين سالم

بإشراف

أ.د. محمد بشير حسن

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

الفصل الأَوّل
التعليل في الإيحاء الصوتي.

- مدخل.
- أثر التكرار في دلالة الإيحاء الصوتي.

أ. تكرار الصوت في اللفظة القُرآنية.

ب. تكرار الصوت في النصّ القُرآني.

ت. تكرار اللفظة في النصّ القُرآني.

- أثر السياق في دلالة الإيحاء الصوتي.

مدخل:

اختلف اللغويون المحدثون في مسألة صلة الأصوات بمعانيها، وهو ما يسمى بـ(المحاكاة الصوتية) (onomatopoeia)؛ فقد أنكره فريق منهم، وأثبته فريق آخر، والمنكرون ينطلقون من مبدأ اعتباطية اللّغة الذي ينصّ على عدم وجود علاقة بين الدال والمدلول(١).

وقد تنبّه القدماء على علاقة الألفاظ بمعانيها وأثرها في تصوير المعنى، ذكر ابن جني: كأنَّهم توهموا في صوت الجُنْدب استطالةً ومدًّا؛ فقالوا: صرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصر(٢).

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: ((إنَّها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النقزان، والغليان، والغثيان))(٣).

وكان إسهام ابن جنّيّ في هذا الجانب كبيرًا؛ فيرى: أَنَّ ((المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو: الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، و(الصعصعة)، والجرجرة، والقرقرة، ووجدت أيضًا (الفعلى) في المصادر والصفات، إنَّما تأتي للسرعة، نحو: البشكى، والجمزى، والولقى))(٤).

وتعود أصل فكرة الاشتقاق الأكبر إلى موضوع علاقة الأصوات بمعانيها؛ فقد قرر ابن جنّيّ أَنَّ مادة (ج ب ر) تدلّ على القوّة والشدة أينما وردت(٥).

---

(١) ينظر: الدلالة الصوتية في اللّغة العربيّة: ٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: الخصائص: ١٥٢/٢، وكتاب العين: باب الصاد (مادة صرر): ٣٩٠/٢، وأهمية النظرية الخليلية في الدّرس اللساني العربيّ الحديث: ٩٠، وصيغة فَعُلَ في القُرآن الكريم دراسة صرفية دلالية:٥٤.

(٣) الكتاب: ١٤/٤، وينظر: الخصائص: ١٥٢/٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٣/٢.

(٥) ينظر: الخصائص: ١٥٣/٢.

وكان ابن فارس معتنيًا بهذه الفكرة في مؤلفاته؛ فقد اتضح أَنَّ أَغلب الجذور الثنائية فيها دلالة صوتية، ومحاكاة[١]، مثل: (خرَّ وخرير)، (هرَّ وهرير)، غير أَنَّ ابن فارس لم يسرف في التأويل وتحميل الألفاظ ما لا تتحمله؛ فقد قال: ((فَأَمَّا أَنْ تتعدى وتتحمل الكلام كما بلغنا عن بعضهم أَنَّهُ قال: ((سميت القارورة؛ لاستقرار الماء فيها وغيره؛ فليس هذا من مذهبنا، وقد قلنا: إِنَّ كلام العرب ضربان: منهُ ما هو قياس، وقد ذكرناه، ومنه ما وضع وضعًا، وقد أثبتنا ذلك – والله اعلم – فَأَمَّا الأصوات فقد تكون قياسًا وأكثرها حكايات؛ فيقولون: قرقرت الحمامة قرقرة وقرْقَريرًا))[٢].

وقد أشار بعض الباحثين المحدثين إِلى علاقة الصوت بالمعنى؛ فهي عند دي سوسير قليلة؛ إذ قال عنها: ((أَمّا الكلمات التي هي أمثلة حقيقية للعلاقة بين الصوت والمعنى، مثل: (tick – tick) و(glug - glug)، وغيرها فهي قليلة العدد))[٣].

فهم مختلفون في ما بينهم في ذلك؛ فقد ذكر ستيفن أولمان (S. Ulmann) أَنَّهُ: ((لا يمكن أَنْ تعطي للصوت أي قيمة دلالية وهو منعزل مفرد؛ فالأصوات عنده ليست رموزًا مستقلة استقلالًا تامًا؛ أي إِنَّها ليست ذات معنى خاص بها؛ فالأصوات المفردة، والفتحة، والياء، واللام، مثلًا، لا تعني شيئًا بنفسها، وإِنَّما وظيفة هذهِ الأصوات أَنَّها تكوّن وحدات أَكبر))[٤].

يقول الدكتور مراد عبدالرحمن مبروك يرى الشدياق (ت١٨٨٨م) أَنَّ الأصوات تحاكي واقعها أو محيطها الطبيعي كثيرًا[٥]، إذ قال من ((خصائص حرف الحاء: السعة والانبساط، نحو: البراح والأبطح، ومن خصائص حرف الدال: اللين، والنعومة،

---

(١) ينظر: المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ٦ وما بعدها، والعلاقة القائمة بين العناصر الصوتية للنص وقدرتها التأثيرية في قوته وجودته: ٥٩٢٧.

(٢) مقاييس اللّغة (مادة قر): ٨/٥.

(٣) علم اللّغة العام: ٨٨، وينظر: المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ٤.

(٤) دور الكلمة في اللّغة: ٣١، وينظر: القيّمة التعبيرية للتشكيل الصوتي في (صحيح البخاري): ١٣.

(٥) ينظر: من الصوت إِلى النصّ نحو نسق منهجي لدراسة النصّ الشعري: ١٧.

والفضاضة، ونحو: الفرهد، والأملود، والميم للقطع، والاستئصال، والكسر، نحو: أزم، وحسم، وحلقم... وخضم))[١].

ويتضح مِمَّا تقدّم أَنَّ الأصوات تستعمل كُلّ منهما بحسب المواقف التي تقتضيها.

وقال الدكتور إبراهيم أنيس أيضًا: ((ففي كثير من ألفاظ كُلّ لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالاتها))[٢].

وقد تحدث الدكتور مصطفى صادق الرافعي عن الإيحاء الصوتي أيضًا ، ووجد أَنَّ: ((مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وإِنَّ هذا الانفعال بطبيعته إِنَّما هو سبب في تنويع الصوت))[٣]، وقال في موضع آخر: ((إِنَّ لكُلّ لفظ صوتًا رُبَّما أشبه موقعه من الكلام، ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه، والذي تُساق لَهُ الجملة، ورُبَّما اختلف وكان بغير ذلك أشبه))[٤].

وذهب إِلى هذا المذهب الدكتور حسن عبّاس؛ فهو يرى أَنَّ ((دلالة الأصوات كامنة في ذاتها))[٥]، ويرى أَنَّ انبساط معاني الألفاظ يتطلب ملكة ذوقية فنية، ويقر أَنَّ خاصية الشدّة في صوت (الدال) مثلًا، وخاصية التحرّك، والترجيح، والتكرار في صوت (الراء)، وخاصية الانبثاق في صوت (النون)، وخاصية الاهتزاز، والاضطراب، والتشويه في صوت (الهاء)، وخاصية الصلابة، والصقل، والصفاء في صوت الصاد...))[٦].

---

(١) من الصوت إِلى النصّ نحو نسق منهجي لدراسة النصّ الشعري: ١٧، وينظر: القيّمة التعبيرية للتشكيل الصوتي في (صحيح البخاري): ١١.

(٢) دلالة الألفاظ: ٧١.

(٣) إعجاز القُرآن والبلاغة النّبويّة: ٢١٥، وينظر: الرحمة والغفران في القُرآن الكريم (رسالة ماجستير):٤.

(٤) إعجاز القُرآن والبلاغة النّبويّة: ٢٢٦.

(٥) الأثر الدلالي للصوت اللّغوي في القُرآن الكريم (أطروحة دكتوراه): ١٨.

(٦) الإشارة الصوتية في النصّ مدخل إِلى المفهوم والأدوات والقيمة: ٢٦٢.

ويرى الباحث فراكيس أمحمد أَنَّ الصوت المفرد فيه دلالة ومحاكاة؛ فـ((الحاء تدلّ على السعة، من مثل: (السماح والمرح)، ودلالة الغين على الخفاء، من مثل: (الغياب والغروب)))[١].

ويرى الدكتور عمّار البوالصة أَنَّ لجرس الأصوات أثرًا، ويقرر أَنَّ الألفاظ تكتسب دلالاتها من جرس أصواتها وبالمناسبة الطبيعية بين الصوت ومدلوله[٢].

ويرى الدكتور محمد حسين علي الصغير أَنَّ الدلالة الإيحائية هي: ((الدلالة التي يوحي بها اللفظ بالأصداء والمؤثرات في النفس؛ فيكون لَهُ وقع خاص يسيطر على النفس، لا يوحيه لفظ يوازيه لغة؛ فهو مجال الانفعالات النفسية والتأثر الداخلي للإنسان))[٣].

وعرّف الدكتور أحمد مختار عمر المعنى الإيحائي للألفاظ بأَنَّهُ: ((ذلك النوع في المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء؛ نظرًا لشفافيتها))[٤].

فالإيحاء بهذا المعنى: بعد صوتي للكلمة وفهمها الظاهري أو إشارتها المعرفية، وهو ذو قيمة وأهمية كبيرة في الوصول إلى تصور كامل للمعنى، بما يوحيه صوت الحكاية في تصوير المعنى وإفهامه للمتلقي[٥].

وهناك من يرى أَنَّ دلالة الصوت مرتبطة بالسياق الذي يرد فيه؛ إذ يقرر الدكتور جمال بن دحمان أَنَّ موقعية الصوت لها أثر؛ إذ قال إِنَّ: ((الأصوات المفردة التي تدلّ بذاتها على إيحاء دلالة ما تزيد على الدلالة المعجمية أو يفرق صوت في بداية الكلمة أو في آخرها، مثلًا: بين ظلال دلالة معجمية في مجال دلالي واحد مثل الفرق بين

---

(١) الأثر الدلالي للصوت اللّغوي في القُرآن الكريم: ١٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: الفكر اللّغوي عند إبراهيم أنيس: دراسة وصفية تحليلية في الأصوات والصرف والنحو والدلالة: ١٢٨، والأثر الدلالي للصوت اللّغوي في القُرآن الكريم: ١١.

(٣) الصورة الفنية في المثل القُرآني: ٢٣٧، وينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب (أحمد بدوي): ٤٥٥، والرحمة والغفران في القُرآن الكريم (دراسة لغوية): ٤.

(٤) علم الدلالة: ٣٩.

(٥) ينظر: الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النصّ القُرآني، مج٢١، ع٤، ٢٠١٠.

دلالة القاف والخاء في الكلمتين (قضم وخضم) فكلتاهما تدلّ على القضم بالأسنان: قضم تدلّ على قضم المواد الصلبة، وخضم تدلّ على قضم الأشياء اللينة الرخوة))[١].

وينفي الدكتور محمد صالح الضالع العلاقة بين الصوت ومدلوله، وينفي أَنْ تكون للأصوات دلالات[٢]، يقول بعد ذلك: ((ولكنّها تكتسب تلك المعاني من وجودها في السياق الذي يصبغها بلونه، بالإضافة إلى لونها وطبيعتها النطقية والسمعية))[٣].

ويعتقد الدكتور منير تيسير شطناوي أَنَّنا لو قلنا بمطابقة الصوت للمعنى؛ فإِنَّ ذلك يوجب اتحاد أصوات الألفاظ في لغات العالم كُلّه[٤]، وهو الراجح؛ أي العلاقة اعتباطية بين الدال والمدلول؛ إذ قال: ((إذا كُنا نعتقد بأَنَّ معنى الكلمة المفردة لا يُحدد من غير سياق نصّ، ينبغي أَنْ نعتقد أيضًا أَنَّ معنى الصوت مفردًا لا يُحدد من غير سياق كلمة))[٥]، وقد انتقد الذين يقولون بمطابقة الأصوات للمعاني، ويرجع هذهِ الأفكار إلى التطرف والغلو في الرأي، وحمل على القائلين بهذا الرأي، ويرى أَنَّ: ((فيه من الغلو ما يجعل الفكرة بمجملها رهينة الانطباع الذاتي والتصور الشخصي كما سلف القول، بالإضافة إلى الوقوع في تناقضات مختلفة؛ فإذا كان يرى الشدّة في صوت (الدال) فكيف يمكن إثباتها في كلمة (هدوء) أو (هدى) مثلًا، وقس على ذلك من الأمثلة ما يسهل معه دحض هذهِ الانطباعات))[٦].

---

(١) القيّمة التعبيرية للتشكيل الصوتي في (صحيح البخاري): ١١، وينظر: الجهود الصوتية في رسائل ابن حزم الأندلسي: ٨.

(٢) ينظر: القيّمة التعبيرية للتشكيل الصوتي في (صحيح البخاري): ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٧.

(٤) ينظر: الإشارة الصوتية في النصّ مدخل إلى المفهوم والأدوات والقيمة (بحث): ٢٥٥.

(٥) المصدر نفسه: ٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه: ٢٦٣.

وقد كان المعجم العربيّ حافلًا بأمثلة كثيرة تثبت ذلك؛ لكنها قليلة قياسًا بالألفاظ الأخرى التي تقول باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول فيها(١)، ولا ينكر الدكتور منير تيسير في قوله السابق بالاعتباطية؛ بل يقرره ويثبته.

ويتضح أَنَّ العلاقة موجودة بين اللفظ والمعنى، وإِنْ كانت في أمثلة قليلة، وترجع هذهِ العلاقة إِلى قدرة الصوت على تمثيل المعنى والتأثير فيه بنفس المتلقي؛ فهي عمليّة ذهنية تقوم على ربط الصوت بمدلوله، فضلًا عن ربط مجموعة الألفاظ المتشابهة مع مجموعة من الدلالات المتشابهة؛ بسبب محاكاة صوت من أصوات الجذر المعجمي(٢).

- **أثر التكرار في دلالة الإيحاء الصوتي**:

يُعَدُّ التكرار من الظواهر اللّغوية التي اتسمت ملامحها واضحة في القُرآن الكريم، في مواضع يقتضيها السياق؛ لتحقيق المعنى المقصود؛ وذلك بوساطة أشكاله المتعددة التي تأتي في آية كاملة أَحيانًا، وحينًا في جزء من العبارة، وقد تأتي في الكلمة المفردة، أو في حرف واحد، أو أكثر من حرف على امتداد النسق(٣).

فالتكرار هو تواتر للأصوات، والألفاظ، والتراكيب، والبنى، والأساليب في داخل النصّ؛ وهو بذلك يعطي فائدتين مهمتين، إحداهما: معنوية دلالية تعمّق المعنى الذي حملته اللفظة المكررة، وتظهر أثرها في السياق أو العكس؛ إذ يؤثر السياق فيها، والأخرى: صوتية؛ فعن طريق التكرار تتردد أصوات معينة، تساعد على إيجاد جو لغوي يُعمّق المعنى ويسهم في تجسيده(٤).

---

(١) ينظر: المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ٤.

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ: ٧١ وما بعدها، والصورة الفنية في المثل القُرآني: ٢٣٦، والمحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ١٠.

(٣) ينظر: التنغيم في القُرآن الكريم (دراسة صوتية): ١٤، والتكرار في القُرآن الكريم درس بلاغي (بحث)، شبكة النبأ المعلوماتية ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م www.annabaa@anabaa.org.

(٤) ينظر: الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النصّ القُرآني، مج٢١، ع٤، ٢٠١٠، والمستوى الصوتي من الظواهر الصوتية عند الزركشي في البرهان: ١١١، والبعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي (النصّ القُرآني أنموذجًا): ١٤٠٢.

تتنوع صور التكرار في التعبير القُرآني على النحو الآتي:

أ. تكرار الصوت في اللفظة القُرآنية:

يؤثر تكرار الصوت في المعنى فيوحي به؛ لما لَهُ من قدرة على محاكاة المعنى بما يمتلكه من خصائص وصفات[١]، وقد وردت أمثلة معلّلة من لدن الباحثين المحدثين، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[٢]؛ إذ تكرر الصوتان العين والسين، وعزا الإيحاء المتولد من جرس تكرارهما، ومن الباحثين المحدثين من أسنده إلى همس السين، وبعضهم الآخر إلى المقابلة بين الصفات المتضادة، ولاسِيَّمَا في جهر العين، وهمس السين؛ إذ ذكر الدكتور محمد السّيد شيخون أَنَّ الإيحاء يتضح وأنت ((تتسمع همس السين المكررة تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها))[٣].

ويرى الدكتور أحمد ياسوف أَنَّ الهمس ((يتجسد في تكرير السين، وهو يناسب الليل...؛ فكأنَّ (عسعس) ترسم الأجواء الليلية الهادئة))[٤].

وعند الدكتور كاصد ياسر الزيدي أَنَّ الإيحاء كان بسبب جرس الأصوات، قائلًا: ((في لفظة بمقطعيها عس عس، وجدنا جرسها وإيقاعها يوحي بحركة الليل، وهو يعس في الظلام والخفاء، كما يعس الماشي ويطوف في الليل تارة بيده وأخرى برجله، وهو إيحاء بالجرس والإيقاع المؤدي للمعنى))[٥].

وكذلك علّلَ الدكتور ياسر علي عبد الخالدي تكرار الصوتين وأثرهما بقولهِ: ((إنَّ تراوح صوت العين بين الجهر والرخاوة يعطي إيحاء بدخول الصبح بما يحمله من أصوات هادئة؛ فالجهر يناسب الصبح، كما أَنَّ الهمس والخفاء في السين يناسب الليل؛

---

(١) ينظر: التنغيم في القُرآن الكريم دراسة صوتية: ١٤، والبعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي: ١٤٠٨، والأصوات العربيّة (كمال الدِّين وهبة هلال): ١٢٢.

(٢) التكوير: ١٧.

(٣) الإعجاز في نظم القُرآن: ١١٥.

(٤) جماليات المفردة القُرآنية: ٨٨.

(٥) الجرس والإيقاع في تعبير القُرآن: ٣٣٧، والجرس والإيقاع في الفواصل القُرآنية: ٢٢٦.

وبذلك تكون هذهِ اللفظة بجرسها الصوتي قد رسمت مشهد الهزيع الأخير من الليل في وقت قد تداخل فيه ضوء الفجر الذي أقبل بقوّة مع ظلام الليل الذي أدبر بهدوء))[١].

وعزا الدكتور عبدالقادر بن فطة الأمر إلى البناء المقطعي أيضًا؛ إذ قال: إنَّ ((القيّمة الصوتية للصامتين المكررين لا تكمن في إيقاعهما؛ بل في اقترانهما لتحديد الدلالة؛ فهي مُشكلّة من مقطعين (عس عس)؛ فالعين صوت بيني، وأَمَّا السين فهو ألين؛ نتيجة تكراره في الكلمة، إنَّها مركبة من مجهور ومهموس؛ وهذا ما يعطيها توازنًا واعتدالًا في نبرتها، كما تجمع بين التوسط والرخاوة، ولم يرد فيها الشديد؛ فاجتماع الصامتين بهذهِ الخصائص اتفق مع الصورة الحقيقية لرقة الظلام))[٢]. استعمل الدكتور عبدالقادر بن فطة لفظة (ألين) بصيغة التفضيل؛ فذكر أَنَّ السين ألين من العين؛ أي أكثر ليونة من العين، والدليل أَنَّهُ حين استطرد ذكر بأَنَّ السين تتسم بالرقة الصوتية.

أَمّا الدكتور محمد حسين علي الصغير فأضاف إلى تعليلات الباحثين المحدثين تعليلًا آخر لم يذكروه، وهو أَنَّ صوت السين هنا من الأصوات الصفيرية؛ إذ قال ((قد يعطي دوي العبارة، وهيكل البيان، صيغة الإنذار، وأنت تصطدم بالوقوف عند السين من حروف الصفير))[٣].

ويتضح أَنَّ التعليلات الصوتية عزت الإيحاء في (عسعس) إلى جرس الصوت، وإلى صفات السين والعين، فضلًا عن المقطع الصوتي.

والبحث في الدلالة الصوتية يتطلب أَنْ نعرض أقوال اللغويين والمفسرين في (عسعس) والأصل المعجمي الذي تُرد إليه؛ إذ ذكر ابن دريد أَنَّ: ((عسعس الليل عسعسة إذا اعتكر ظلامه، وقال قوم: بل العسعسة إدبار الليل إذا استغرق ظلامه))[٤].

---

(١) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٥.

(٢) بلاغة التكرار في القُرآن (بحث)، مجلة عود الند، العدد٩٦، ٢٠١٤.

(٣) الصوت اللّغوي في القُرآن: ١٨١.

(٤) جمهرة اللّغة مادة (عس): ٢٠٣/١.

وعند ابن فارس أَنَّ (عسعس) مقلوب من (سعسع) وهو بمعنى المضي[١].

يتضح أَنَّ المعجم يعطينا معاني المبالغة، ويتحقق هذا المعنى بتكرار الصوت الصامت؛ قال الدكتور تمام حَسّان عن تكرار الصوت في (عسعس)، وإعطائه معاني كثيرة: ((الترديد صورة من صور التعبير عن الجهة في اللّغة العربيّة، نحو: جرجر، عسعس، وزمزم، والمعاني التي يضيفها الترديد؛ ليخصص بها عموم دلالة الفعل هي الكثرة، أو التكرار، أو الكبر، أو الشدّة، أو التعود، أو الاستمرار))[٢].

وقد ذكر المفسرون بعض هذهِ المعاني في (عسعس)؛ فهو بمعنى (أقبل)، ويمثله ابتداء الظلام فيه، والأرجح أَنَّهُ بمعنى: أدبر[٣]، فسر بأدبر؛ ليكون التعاقب في الذكر على حسب التعاقب في الوجود، وهذا المعنى أنسب لمراعاة المقابلة مع قرينه. قال السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ): ((وقيل: أدبر بلغة قريش خاصة، وقيل: أقبل ظلامه، ويُرجّحُه مقابلته بقولهِ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٤]، وهذا هو قريب من إدباره))[٥].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[٦]؛ إذ تطرق الباحثون المحدثون إلى تعليل (كبكبوا)، ورأوا أَنَّ فيها معنًى إيحائيًا؛ بسبب التكرار الحاصل في أصواتها؛ إذ قال الدكتور محمود السيد شيخون إِنَّ: ((تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القُرآني موزونة بميزان شديد الحساسية تميله أخف الحركات والاهتزازات؛ حتّى لتكاد تتصور

---

(١) ينظر: مقاييس اللّغة مادة (عس): ٤٣/٤.

(٢) مناهج البحث في اللّغة: ٢١٤.

(٣) ينظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي): ٢١٧/٥، والجامع لأحكام القُرآن (القرطبي): ٢٣٩/١٩، وفي اللهجات العربيّة: ٢٠٤.

(٤) التكوير: ١٨.

(٥) الدر المصون: ٧٠٦/١٠، وينظر: الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القُرآن الكريم: ٤٠.

(٦) الشعراء: ٩٤.

حال أولئك المجرمين يكبون على وجوههم أو على مناخرهم ويلقون إلقاء المهملين؛ فلا يقيم أحد لهم وزنًا))[١].

وذهب الدكتور حسن عبّاس إلى أَنَّ صفات صوت الكاف توحي بالشدة، والعنف، والاحتكاك[٢].

وعزت الدكتورة كوليزار كاكل عزيز الإيحاء إلى كثرة الفتحات وتواليها؛ إذ قالت: ((يحدث جرس حروفها وجرس الفتحات المتتالية، والواو صوت الحركة التي تتمّ بها، ويصوّرها للسامع مع أدق تصوير))[٣].

أَمّا الدكتور طارق محمد إسماعيل الزوبعي فيرى أَنَّ الإيحاء عن طريق جرس لفظ (كبكب) بقولهِ: ((يحدث صوت الحركة التي تتمّ بها، وإنَّك لتسمع من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف؛ فتتبعه الجروف؛ فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه))[٤].

وعزا الدكتور ياسر علي الخالدي الإيحاء إلى صفات الأصوات قائلًا: ((إنَّ صوتي (الكاف والباء) كلاهما صوت انفجاري شديد، فضلًا عن أَنَّهما تكررا مرتين في اللفظ نفسه؛ ما أعطاه للفظ شحنة انفعالية مضاعفة، ومن ثمَّ جعلا اللفظ منسجمًا مع المعنى الذي جاء به، وإنَّ هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى أعطى للنصّ الكريم كاملًا بُعدًا جماليًا محببًا لدى المتلقي، وقدرة هائلة على التأثير فيه))[٥].

في حين يرى الدكتور عبدالقادر بن فطة أَنَّ ((كلمة (كبكبوا) بدلًا من (كبوا)؛ فتكرار الصامتين (الكاف والباء) فيه دلالة العنف والشدة لأهل النّار على وجوههم؛ فالكلمة مركبة من مقطعين (كب)، فالصامتان مختلفان بين الجهر والهمس؛ وهذا يدلّ

---

(١) الإعجاز في نظم القُرآن: ١١٦.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربيّة: ٦٩ وما بعدها، وجرس الألفاظ: ٢٩٥.

(٣) دلالات أصوات اللين في اللّغة العربيّة: ١١٩، وينظر: جرس الألفاظ: ١٦٩.

(٤) من أساليب التعبير القُرآني: ٣٦٦، وينظر: التصوير الفني في القُرآن: ٩٣، والتنغيم في القُرآن الكريم: ١٢، وجماليات الإيقاع الصوتي في القُرآن الكريم: ١٠٩.

(٥) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٤.

على دقة توزيع الأصوات، وصورة النطق بها؛ فهما متضادان؛ فالكاف صوت انفجاري مهموس، والباء صوت مجهور انفجاري؛ فاجتماع الصامتين مَتَّنَ العلاقة مع دلالة الكلمة، وهي تدهور الوجوه بقوّة في الجحيم))[١].

يتضح أَنَّ تعليلات المحدثين متعددة؛ ولكنها تنصّ على وجود الإيحاء الصوتي في (كبكبوا)، غير أَنَّ بعضها فيه تكلّف لا يقوم على دليل يمكن أَنْ يُستند إليه، ولاسِيَّمَا ما ذكر عن دلالة الكاف بالعنف، ومعاني الشدّة والاحتكاك؛ فهذا كلام فيه نظر؛ لأَنَّ الصوت المفرد تختلف صفاته في التشكيل الصوتي؛ فهي خاضعة لتأثرات السياق والمجاورة، فضلًا عن النظر في التعليل القائل بتوالي الفتحات في (كبكبوا)؛ فهي مكونة من مقاطع: (طويل مغلق، قصير، طويل مفتوح)، وقمم هذهِ المقاطع هي: ضم، وكسر، ثمَّ واو طويلة، والحقيقة التي يمكن أَنْ نركز عليها أَنَّ أصل (كبَّ) فيه مناسبة للمعنى؛ إذ وردَ عند ابن فارس أَنَّ ((الكاف والباء أصل صحيح يدلّ على جمع وتجمّع))[٢]، ومنه: ((الكَبْكَبةُ: أَنْ يتدهور الشيءُ إذا أُلقي في هُوَّة حتّى يستقر؛ فكأَنَّهُ تردّدَ في الكبِّ))[٣]؛ فمعنى المبالغة في (الكب) أوحى به تكرار الصوتين، ويتضح أَنَّ تشكل اللفظة من الأصل (كبَّ) لَهُ مناسبة؛ فهي دالة على معنى، وإذا تكرر الصوتان يعطي إيحاء المبالغة في التردد، ولا يمكن أَنْ نعزو الإيحاء الصوتي إلى صفات الكاف أو الباء فقط، كما وردت في بعض تعليلات الباحثين المحدثين؛ لأَنَّ هذهِ الصفات قد تتغير في أثناء التشكيل؛ بسبب المجاورة، وتأثر الأصوات بعضها ببعض[٤]. قال الدكتور غانم قدوري الحمد: ((حين نصف صوتًا بأَنَّهُ مرقق فإِنَّ ذلك لا يعني أَنَّهُ لا يلحقه التفخيم مطلقًا، ومثل ذلك جُملة الصفات الصوتية التي تتصف بها اللّغة))[٥].

---

(١) بلاغة التكرار في القُرآن (بحث)، مجلة عود الند، العدد٩٦، ٢٠١٤، وينظر: النسيج الصوتي للمفردة القُرآنية ومناسبتها للمعنى: ٢٠.

(٢) مقاييس اللّغة مادة (كب): ١٢٤/٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٤/٥.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربيّة: ١٩٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٤.

يوحي لفظ الكبّ والتكرار فيه إلى التكرير في المعنى؛ كأنَّه إذا ألقى في جهنم يُكب مرة بعد أُخرى؛ حتّى يستقر في قعرها، ويمكن أَنْ تحمل صورة طرح بعضهم على بعض.

فبتأثير بعض الأصوات في بعضها الآخر قد تفقد بعض الأصوات شيئًا من صفاتها وهي مفردة؛ وهذا الأمر يحيلنا على التعليلات المذكورة آنفًا التي اعتمدت على صفات بعض الأصوات في محاولة لعقد صلة بين الصوت ودلالته فيها شيء من التكلّف.

نلحظ أَنَّ أصل المادة المعجمية بما فيها من تناسق صوتي وتشكّل هما: الأصل في دلالة بعض الأمثلة الإيحائية، فضلًا عن تكرار بعض الأصوات والمقاطع هو محاكاة للمعنى، والإيحاء به، ولاسِيَّمَا تلك التي تُرد إلى الأصل الثنائي[١]، وهذا يحيلنا على قول عدد من علماء الساميات إنَّ الأصل الذي تناسلت منهُ العربيّة وأخواتها الساميات هو الأصل الثنائي، وإنَّ الحرف الثالث من الثلاثي ما هو إلَّا تنويع للمعنى[٢].

ومن الأمثلة الأخرى للتعليل ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣]؛ إذ تكلم الباحثون على لفظة (زحزح)، وعزوها إلى تكرار المقطع، وتكرار صوت الزاي؛ إذ قال الدكتور ياسر علي الخالدي: ((صوت الزاي الذي تكرر مرتين في اللفظ، ومعلوم لدينا أَنَّ هذا الصوت هو من الأصوات الصفيرية المجهورة

(١) ينظر: المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ٨.

(٢) ينظر: المدخل إلى نحو اللّغات السامية: ١٢٥-١٢٧، والمحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي: ٨ وما بعدها.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

الذي يصاحبه زفير يخرج من الأوتار الصوتية عند النطق به؛ ما جعل هذا اللفظ أكثر مناسبة في تصوير مشهد الإبعاد والتنحية))[١].

ثمَّ كشفَ كُلّ من الدكتور ياسر علي الخالدي، والدكتور كاظم صافي حسين في بحثهما المشترك أثر الانفعالات النفسية في لفظة (زحزح) توحي ((بين حالين من الشدّة والرخاء، أَمّا الشدّة فقد جاءت من قربهم من النّار وكأنَّما ما زال في نفوسهم خوف منها، وقد جاء صوت الزاي الصفيري المجهور؛ ليعادل هاجس الخوف لديهم، وأَمَّا الرخاء فقد جاء من دنوهم من الجنّة واستبشارهم بها، وقد جاء صوت الحاء المهموس؛ ليعبر عن تلك الحال))[٢].

في حين يرى الدكتور عبدالقادر بن فطة: ((أَنَّ تكرار الحاء والزاي في كلمة (زحزح) هو تعادل الأصوات وتوازنها؛ مِمَّا يعطي توجيهًا دلاليًا لما يحتويان من خصائص صوتية؛ فهما يلتقيان في الاحتكاك، ويختلفان في الهمس والجهر))[٣].

ويرى الدكتور ماهر مهدي هلال: ((أَنَّ مثل هذهِ الكلمات تعتمد على قوّة الجرس الذاتية في بنائها اللفظي أداة للتعبير والإيحاء))[٤].

وقد عزا الدكتور ياسر علي الخالدي لفظة (زحزح) إلى تكرار المقطع الصوتي؛ إذ قال: إِنَّ اللفظ ((تكوّنَ من تكرار المقطع الصوتي الطويل المغلق نفسه الذي تكوّن من ((صامتين بينهما صائت قصير))[٥].

/ ز ـُ ح / + / ز ـِ ح /

وهذا التكرار في حقيقته أعطى للبنية الصوتية داخل التركيب بُعدًا إيحائيًا قام على أساس رصد العلاقة المتضمنة بين الشكل والدلالة؛ وعليه فإِنَّ البنية الصوتية هنا

---

(١) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥٣، وينظر: التنغيم في القُرآن الكريم – دراسة صوتية: ١٣.

(٣) بلاغة التكرار في القُرآن (بحث)، مجلة عود الند، العدد٩٦، ٢٠١٤.

(٤) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ١٦٩.

(٥) أبحاث في أصوات العربيّة: ٩.

قامت على التكرار المضاعف جاءت مكتنزة بالدلالة؛ ما يجعل المتلقي يستطيع الوقوف عليها بأدنى تأمل))[١].

وتعليل الدكتور الخالدي لتكرار المقطع الصوتي للفظة (زحزح) مبني على أساس الوقف، أَمّا إذا حُرِّكت الحاء فلا يكون تكرارًا مقطعيًا؛ لأَنَّ البنية المقطعية الناتجة متكوّنة من مقطع طويل مغلق، ومقطعين قصيرين، تكوّنا من ((صامت يتبعه صائت قصير))[٢].

/ ز ـُ ح / + ز ـِ / + / ح ـَ /

مقطع طويل مغلق مقطع قصير مقطع قصير

وبذلك لا يُعَدُّ تكرارًا في البنية المقطعية للفظة في حالة الوصل.

وعند الرجوع إِلى معجمات اللّغة، نجد أَنَّ الأصل في لفظة (زحزح) هو من (زح)؛ قال ابن فارس: ((الزاء والحاء يدلّ على البُعد؛ يُقال: زُحْزِحَ عن كذا؛ أي: بُوعِد))[٣].

يتضح أَنَّ تكرار الصوتين كان يدلّ على المبالغة في البُعد والتنحي، وهما يوحيان بهذا المعنى، وأَمّا عند المفسرين فيقول الطبريّ: ((﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ ((فمن نُحِّي عن النّار فأبعد منها وأدخل الجنّة))[٤]، وعند الزمخشري أَنَّ ((الزحزحة: التنحية والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة))[٥]. يتضح أَنَّ التفاسير تعطينا معنى التنحي والإبعاد لهذه اللفظة.

---

(١) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٣.

(٢) أبحاث في أصوات العربيّة: ٩.

(٣) مقاييس اللّغة مادة (زح): ٧/٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القُرآن (الطبريّ): ٤٥٢/٧، وينظر: الجامع لأحكام القُرآن: ٤٥٤/٥، والبحر المحيط: ١٣٩/٣.

(٥) الكشاف: ٢١٠، وينظر: التحرير والتنوير: ١٨٨/٤.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١]؛ فقد علّل الباحثون المحدثون لفظة (حصحص) ويرون أَنَّها تحمل معنًى إيحائيًا؛ بسبب تكرار أصواتها؛ فذهب الدكتور محمد حسين علي الصغير إِلى أَنَّ إيحائية لفظة (حصحص) تظهر بوساطة: ((الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي؛ فكانت (حصحص) واضحة الظهور بانكشاف الأمر في ما يقهره على الإذعان؛ وهنا قد يمتلكك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووضوح أمره مع القهر؛ فلا تردّ دلائله، ولا تخبو براهينه))[٢]، بمعنى: ظهور الحق بعد انحسار الباطل.

ويرى الدكتور إبراهيم صبر الراضي أَنَّ تكرار ((المقطع (حص) مرتين الذي هو ذو دلالة بيّنة على محاكاة اللفظة لفعل الظهور الواضح من خلال وضوح المقطع وتكراره))[٣].

في حين عزا الدكتور ياسر علي عبد الخالدي إيحائية اللفظ إِلى تكرار المقطع الصوتي؛ إذ قال: ((إنَّ التشكيل المقطعي لهذا اللفظ وجدنا أَنَّهُ متكوّن من تكرار المقطع نفسه، وهو من المقاطع الطويلة المغلقة:

/ ح ـَ ص / + / ح ـَ ص /

مقطع طويل مغلق مقطع طويل مغلق

إذ تكوّن من صامتين هما: (الحاء والصاد) بينهما صائت قصير، والحاء من الأصوات الرخوة المهموسة... هذا ما يجعله مناسبًا جدًّا للتعبير عن خفاء الحق قبل ظهوره...، ثمَّ جاء الصاد بعد صائت قصير، وهو من الأصوات ذات الجرس الصارخ إِلى جانب السين والزاي))[٤]؛ إذ: ((يلحظ لدى استعراضها أَنَّها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن

---

(١) يوسف: ٥١.

(٢) الصوت اللّغوي في القُرآن: ١٨١، وينظر: النسيج القُرآني للمفردة القُرآنية ومناسبتها للمعنى: ٢.

(٣) البناء الصوتي في السور المكية: ١٤٦.

(٤) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٣.

المراد في تأكيد الحقيقة؛ وهي بذلك تعبر عن الشدّة حينًا، وعن العناية بالأمر حينًا آخر؛ مِمَّا يشكل نغمًا صارمًا في الصوت، وأزيزًا مشددًا لدى السمع))[١].

ورُبَّما يستقيم كلام الدكتور الخالدي في حالة الوقف، غير أَنَّ تحريكها يجعل المقطع الطويل المغلق مقطعين قصيرين، ثمَّ تحدث بعد ذلك عن الجرس الصوتي في صوت الصاد في تلك اللفظة؛ إذ قال: ((إنَّ هذا الأزيز المشدد الذي يحدثه صوت الصاد في السمع جاء ليُعبّر عن وضوح الأمر وانكشافه؛ وبذلك يتجسد لنا جانب جمالي في هذا اللفظ، ولاسِيَّمَا في مجيئه للتعبير عن هذا المعنى))[٢]؛ وبذلك منح البناء الصوتي هذهِ اللفظة القدرة على الإيحاء والتصوير معًا.

وعزا الدكتور عبدالقادر بن فطة الإيحاء إلى صفات الأصوات؛ إذ قال: ((كررت الحاء والصاد؛ فالأولى من خصائصه الصوتية الهمس والاحتكاك، ويتميز بضعف في النطق؛ لأَنَّ الكثير يخلط بينه وبين الهاء، أَمّا الصّاد فمن أصوات الصفير، ليس لها في الفصحى مقابل مجهور، ما يميزها هُنّ بقية أصوات الصفير الواضح، وقوّة جرسها، كما أَنَّها تقرر الحقيقة))[٣].

وعند الرجوع إلى علماء اللّغة نجد أَنَّ (حصحص) بمعنى: ((وضوح الشيء وتمكنه...، وحصحص الشيء؛ أي: وضحَ))[٤]، أَمّا عند العلماء المفسرين فهي بمعنى: تبيّنَ وظهر بعد خفاء، وأيضًا بمعنى: ثبت واستقر[٥]، وإنَّ دلالة (حصحص) تدلّ على الوضوح والانكشاف، وتمكن في القلوب والنفوس.

---

(١) الصوت اللّغوي في القُرآن: ١٧٩.

(٢) الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القُرآن: ٤٥٣.

(٣) بلاغة التكرار في القُرآن (بحث)، مجلة عود الند، العدد٩٦، ٢٠١٤.

(٤) مقاييس اللّغة مادة (حص): ١٢/٢.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القُرآن (القرطبي): ٣٧٣/١١، والبحر المحيط: ٢٩١/١٢.

Abstract

Vocal Explanation of Qur'anic Expression for the Narrators

This study dealt with the topic of “Vocal Explanation of Qur'anic Expression for the Narrators“ and the idea of the topic is to provide a follow-up of sound explanations that the narrator researchers have explained, and the rooting of some explanations and discussion them. So that, the researcher will be able to access the Qur'anic interpretations and language books, according to a descriptive analytical approach, based on analysis and application.

The nature of the topics required an introduction, three chapters and a conclusion, and then the sources and references were confirmed.

The first chapter, entitled "Explanation in Voice Suggestion" in which the researcher studied: the effect of repetition in the meaning of the voice suggestor and was at a level of: (repetition of the voice in the word, repetition of the word in the phrase, repetition of the voice in the Qur'anic text), the researcher studied: the effect of context in the indication of the voice suggestor.

The second chapter was: (Explanation in Sound Harmony), and included: the concept of vocal harmony, and the vocal harmony in the Qur'anic vocabulary, and was at a level of: (exits and aspects of sounds, juxtaposition of sounds, lightness and weight).

The third chapter was (Phonetic Explanation in Vocal Bells) studying in it : (the concept of the bell, the Qur'anic employment of vocal bells including: (the vocal bell of the letters (silos), the vocal bell of the movements (voices), and the vocal bell (pronunciations)." The most important conclusions and results were mentioned.